

تفسير ابن كثير

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

يقول تعالى مهتدا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم

الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني : يوم القيامة ، لفصل القضاء بين الأولين

والآخرين ، فيجزى كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ولهذا قال : (

وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور) كما قال : (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا

وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) [

الفجر : 21 23] ، وقال : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض

آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية [الأنعام : 158] . وقد ذكر الإمام أبو

جعفر بن جرير هاهنا حديث الصور بطوله من أوله ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم . وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم ،

وفيه : " أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدا واحدا

، من آدم فمن بعده ، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا جاءوا إليه قال : أنا لها ، أنا لها . فيذهب فيسجد الله تحت العرش ، ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد ، فيشفعه الله ، ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا ، وينزل من فيها من الملائكة ، ثم الثانية ، ثم الثالثة إلى السابعة ، وينزل حملة العرش والكروبيون ، قال : وينزل الجبار ، عز وجل ، في ظلل من الغمام والملائكة ، ولهم زجل من تسبيحهم يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان رب العرش ذي الجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ، قدوس قدوس ، سبحان ربنا الأعلى ، سبحان ذي السلطان والعظمة ، سبحانه أبدا أبدا " . وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هاهنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم ; فمنها ما رواه من حديث المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى

الكرسي " .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم ،

حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت عبد الجليل القيسي ، يحدث عن عبد الله بن عمرو : (

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية ، قال : يهبط حين يهبط ، وبينه

وبين خلقه سبعون ألف حجاب ، منها : النور ، والظلمة ، والماء . فيصوت الماء في تلك

الظلمة صوتا تنخلع له القلوب .قال : وحدثنا أبي : حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ،

حدثنا الوليد قال : سألت زهير بن محمد ، عن قول الله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله

في ظلل من الغمام) قال : ظلل من الغمام ، منظوم من الياقوت مكلل بالجوهر والزبرجد

.وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (في ظلل من الغمام) قال : هو غير السحاب ، ولم

يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس

، عن أبي العالية : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) [قال]

: يقول : والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام ، والله تعالى يجيء فيما يشاء وهي في بعض

القراءة : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام " وهي كقوله : (

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [الفرقان : 25] .